مقاربة تأويل النص الشعري الحديث في الكتاب المدرسي

محمد نفاد

الأكاديمية الجهوية فاس

ملخص البحث:

تناولنا في هذا البحث موضوع تأويل النص الشعري الحديث في الكتاب المدرسي، وحاولنا الاقتراب من مجموع الخطوات المنهجية التي تساعد الطالب على بناء المعاني والدلالات اعتمادا على أسس تأويلية تساعد على الوصول إلى بنية النص العميقة. وقد جعلنا الدراسة في قسمين؛ الأول نظري جردنا فيها خصوصية النص الشعري ومداخل التعامل معه على مستوى القراءة والتأويل، والثاني تطبيقي تم خلاله تنزيل الخطوات الإجرائية على مستوى نموذج مغربي معاصر من خلال قصيدة "إذا تشاء المدينة" للشاعر محمد السرغيني.

الكلمات المفاتيح: التأويل – الشعر الحديث – الكتاب المدرسي– النقد – علوم التربية.

In this research, we dealt with the subject of the interpretation of the modern poetic text in the textbook, and we tried to approach the total methodological steps that help the student to build meanings and connotations based on interpretive foundations that help to reach the deep structure of the text. We have divided the study into two parts; The first is theoretical, in which we abstracted the privacy of the poetic text and the approaches to dealing with it at the level of reading and interpretation, and the second is practical, during which the procedural steps were downloaded at the level of a contemporary Moroccan model through the poem “If the City Wants” by the poet Muhammad Al-Sarghini.

مقدمة

التأويل في علوم التربية يعرف بالقدرة على التعرف على الأفكار الرئيسية وإدراك ما بينها من أفكار، أو هو استخراج معان ضمنية ومضمر بين ثنايا النص، من خلال تقديم شروح حول دلالات غير

معلن عنها تصريحا في النص. وقد حملني على تناول هذا الموضوع ما يتوفر عليه النص الشعري العربي الحديث –المقرر في الكتاب المدرسي لشعبتي الآداب والعلوم الإنسانية في الطور الثانوي– على قدر كاف من التراكيب الفنية والأسلوبية المشكلة لآليات تأدية المعنى، وما يتميز به من ظروف خارجية وسياقية أنتجته تمثلت في اللغة على مستوى الرموز اللغوية وغير اللغوية... هذا النصيب من الملامح الأدبية جعلت من النص الشعري الحديث حقلا فنيا قابلا للمقاربة التأويلية.

وتكمن أهمية البحث في كشف آليات الاشتغال التأويلي في النص الشعري الوظيفي المدرسي، ومجموع المرتكزات التي تبرز شعرية النص وأدبيته ومكنوناته الجمالية، ويمكن طرح الموضوع في هذه الورقة بالجمع بين النظرية والتطبيق محاولا اقتراح مقاربة متكاملة العناصر بغية قراءة النص الأدبي الشعري وتأويل معانيه وفق ضوابط قرائية وإجراءات نقدية كاشفة للبنى العميقة للنص.

ونعتمد في المقاربة المقترحة أربع ركائز أساسية هي: الملاحظة الخارجية – الفهم – التحليل – التركيب. وفي كل مرحلة نعتمد على عناصر ديداكتيكية وإجراءات منهجية لبناء التصور الدلالي المطابق أو الشبيه بالبنية التي يقصد صاحب القصيدة نقلها.

وتحاول الورقة الإحاطة بإشكالية: ماهي المقاطع المنهجية المكونة لتأويل النص الشعري الحديث في الكتاب المدرسي؟ ما الإجراءات النقدية الكفيلة باستنطاق النص الشعري والكشف عن مكنونه؟ إلى أي حد يمكن للمقاربة التأويلية استجلاء الملامح الأدبية والجمالية للنص الشعري الحديث في المنهاج المدرسي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، ننطلق من فرضية أن الآلةُ التأويليةُ بضوابط منهجية علمية تنهل من علوم التربية والديداكتيك وما تجود به النظريات البيداخوجية قادرةٌ على تذوق النص الشعري وإعادة

بنائه في ضوء مؤشرات وعلامات وفق **مرجعيات النقد الأدبي وعلم التدريس المعاصر** المنفتح على الأبعاد الفنية والنفسية... وارتأيت في خطة الورقة تقسيم الدراسة إلى:

تقديم عام: تأطير الدراسة

أولا: أساسيات تأويل النص الشعري في الكتاب المدرسي؛ رؤية نظرية تستمد من المناهج النقدية وعلوم التربية وكيف نظَّرا للعملية التأويلية في سياق التواصل الصفي.

ثانيا: الاشتغال على نص تطبيقي نعكس فيه الأجرأة ونحول التصور النظري إلى خطى عملية تستجلي الدلالات وفق مقاربة تأويلية مبنية على أسس علمية

خلاصة: ننهي البحث بخلاصة تكثيفية وجرد لأهم الخلاصات المتوصل إليها كما نعمد إلى رفع توصيات من إملاء نتائج الورقة البحثية.

هذا، ونستقي مادة البحث من كتب نقدية وأخرى في مجال تدريسية اللغة العربي وكذا معاجم علوم التربية والديداكتيك.

أولا: أساسيات تأويل النص الشعري في الكتاب المدرسي

1- الملاحظة الخارجية وبواكر التأويل.

نبدأ أولى خطوات التأويل النصي للقصيدة المعاصرة في الكتاب المدرسي بالملاحظة الخارجية، وتتضمن مجموعة من المشيرات المساعدة على فهم النص وتحليله، وترتكز على محيط النص كالكاتب والعنوان في تركيبه ودلالته، وزمن الكتابة، وقد تمتد هذه المشيرات إلى هندسة النص وبنائه (التوزيع الطباعي، تقطيع النص، ...)، كما يمكن أن يعتمد التأويل على كلمات مفاتيح أو مشيرات ذات طابع صوتي أو إيقاعي.

إن هذه العناصر أو على الأقل بعضها تنتهي بطرح إشكالية تعقد بفرضية أو فرضيات تحفز على تحليل النص وتأويله.

هذه العناصر تمثل أنشطة ذهنية تقوم على حصر الانتباه في حيز معين، حسي أو معنوي، ويتجلى التأويل في هذه المرحلة في كون النشاط الذهني للملاحظة «لا ينحصر في توجيه الحواس فقط، ولكنها تنطوي على عمليات إسهام العقل في الملاحظة إلى درجة الابتكار والاختراع» (الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، ص104).

والملاحظة مرحلة أساس في بناء معطيات التأويل وإرهاصات القراءة، فهي التقاط لمؤشرات نصية لبناء مَعَاني وتحويلها إلى مشروع مادة قابل للتأويل ولو على سبيل الافتراض القابل للتحقق في ظل إنجاز إجراءات اكتشاف الدلالات، لأن القراءة التأويلية «تفاعل بين النص والقارئ (المتعلم) لذلك فالمدرس يشجع على القراءة النشيطة التي تعد بدورها قراءة بحث، حيث يقترح المتعلم فرضيات عن المعنى انطلاقا من مشيرات معينة مثل عتبات النص وبدايته ونهايته، بالوقوف على العناصر التي قد تساعد على اكتشاف المعنى» (الكتابة العامة لمديرية المناهج، التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، ص 18). إذن نحن أمام نشاط ذهني مهاري متعدد الأبعاد يسعى إلى بناء تصور دلالي انطلاقا من موجهات خارجية تسعف في تشكيل قاعدة يتأسس عليها التأويل

2- التأويل وبناء المعنى.

بناء المعنى نشاط فكري يتم عبر مجموعة من العمليات العقلية، و**التأويل** من أساسيات البناء الدلالي للنص الشعري، إنها عملية تأويلية خاضعة لنظام من الإجراءات والأنشطة التعليمية التعلمية. إن هذا النوع من النشاط الذهني يسعى إلى تأويل القصيدة «لبناء تصور دلالي لما يقال أو يدون ما

يجري، هو تحويل، وانتقاء، وإعادة تنظيم للمعلومات المقروءة بغية تكوين بنية ذهنية مطابقة أو شبيهة بالبنية التي يقصد نقلها من مؤلف النص» (أندريه ديبشن، استيعاب النصوص وتأليفها، ص11).

والنص الشعري في الكتاب المدرسي لا يتحقق بناء معناه إلا بإعادة قراءته في ضوء العلامات اللغوية والتركيبية، ليتأتى بناء جديد للمعنى حسب المرجعيات التي يتوفر عليها قارئ النص (مشروع أولي لمناهج اللغة العربية بالسلك الثاني من التعليم الأساسي، (مرقون)، ص82)، ويرى مؤلفو كتاب "الأساسي في اللغة العربية" أن «التحويل والتأويل، من مظاهر تحقق الفهم» (الحبشي العسري وآخرون، (مؤلف جماعي)، الأساسي في اللغة العربية، ص47).

وبذلك، فإن الفهم في قراءة النص الشعري في الكتاب المدرسي ليس جملة من الإجراءات والعمليات الهادفة إلى تفهيم النص للمتعلمين، لكنه تدبر في المعاني، وإدراك للدلالات باعتبار النص بنية غير مغلقة، في هذه المرحلة يمكننا أن نتعامل مع "تأويل أولي" لبنية النص لتكوين صورة تقريبية واضحة، نشتغل على تعميقها في مرحلة التحليل.

3- تأويل البنى النصية.

يختلف النص الشعري عن النصوص النثرية في الكتاب المدرسي، فإذا كانت النصوص النثرية المقالية تتميز بأسلوبها المباشر، والقصصية تخضع للخطاطة السردية، فإن القصيدة الشعرية المعاصرة داخل المناهج تستأثر بطابع الإيحاء وفنية الأسلوب، فالأداء اللغوي والفني للمبدع يعطي جانب الخصوصية القيمية للنص، كما أنه يعتمد علاقات مبتكرة للتعبير عن الصورة الذهنية، لهذه الأسباب والخصوصيات تحتاج القصيدة في الدراسات الصفية المدرسية منهجية فريدة، خاصة فيما يتعلق بجانب التأويل والبحث عن الدلالات. وفي هذه الورقة العلمية سأعمل على اختيار بعض مستويات التحليل التي تُسعف في التأويل، ومنها:

أ- **المعجم**: المعجم نظام وظيفي مركزي داخل أي خطاب، يمكن التعامل معه في تأويل القصيدة بعدة تقنيات، ويتأتي لدارس النص الشعري في الكتاب المدرسي -بالنسبة لسنة الباكلوريا تخصص آداب وعلوم إنسانية- بالاشتغال على معجم النص، والتركيز على تصنيف الكلمات من القصيدة وفق الحقول التي تبرز وتظهر فيها، مثل: حقل الغربة، حقل الحب، حقل المقاومة، ... والأمر لا يتوقف عند هذا الحد، لأنه عمل تفكيكي فقط، إنما التأويل ينبثق من إجراء رصد الحقل المهيمن والتعليل له ولأسباب هيمنته، كما يتم الاشتغال بشكل تأويلي تعليلي بربط العلاقة بين الحقول المعجمية (ترابط، تضاد، سببية، تكامل، جزء من كل...).وقد وُجه لهذا الإجراء عدة انتقادات منها: عزل المفردات عن سياقها، لكن «مهما يكن من أمر فإن هذه التقنية تضع يدنا على بعض الترددات التي هي ذات مغزى، فلا أحد ينكر دورها في رصد المحاور التي يدور حولها الديوان أو القصيدة، كما أن تلك الترددات تضمن انسجام النص مع نفسه ومع النصوص الأخرى التي تنتمي إلى جنسها» (تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجيات التناص)، ص60).

ب-**الصورة الشعرية**: تُعَدُّ الصورة الشعرية من مداخل التأويل في مقاربة القصيدة الشعرية المعاصرة، ويتاح الأمر أكثر فيما يتميز به الشعر الحديث من اعتماد أسلوبية مغايرة للبيان التقليدي، إذ يمكن للقارئ/المحلل أن يعتبر النص صورة كلية والمجاز والعدول والرموز... كلها أجزاء الصورة الكلية وتصب في رؤيتها الشعرية، والتأويل في هذا المستوى يسبر أغوار الخيال، ويرسم الخط الإيحائي للصورة ومواطن الجمال فيها، ومن إجراءات التأويل الفني تفكيك الأدوات الفنية وقراءتها.

وإذا كان الدرس النقدي والبلاغي القديم حصر أسلوبية التصوير في التشبيه والاستعارة والكناية وأنواع المجاز المرسل ... فإن التنظير المعاصر يرى أن هذه العناصر مجرد أجزاء للصورة وليست صورة في حد ذاتها كما يرى الدكتور أحمد الطريس: "التشبيه لوحده لا قيمة له، وكذلك الاستعارة بمفردها

لا قيمة له" (الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث في المغرب، ص43). ويؤكد في نفس الطرح: "لا نقصد بالصورة الشعرية هنا. ذلك المفهوم الجزئي الذي يخص الجانب البلاغي في الكلام، وإنما أقصد بها القصيدة كلها بناء ولغة وإيقاعا، أقصد بها الرؤيا، والقبض على الرؤيا التي لا يتم إلا بواسطة صورة وبكافة عناصرها المكونة لها. فالتشبيه ليس صورة، وكذلك الاستعارة بمفردها ليست صورة" (نفسه. ص43). بهذا التنظير النقدي لأسلوبية الصورة الشعرية في النص القصيدة المضمنة في الكتاب المدرسي لسنة الباكلوريا آداب وعلوم إنساني يُخلق الغموض وتشتغل الآلة التأويلية بإجراءاتها الفكرية واللغوية.

ت–الإيقاع: تأسست القصيدة العربية المعاصرة على مبادئ وجماليات إيقاعية، أحدثت هذه المبادئ الجديدة تحول جوهري في البنيتين البصرية والتركيبية للنص، وتجاوزت النموذج القديم، واشترطت مقاييس حديثة لتقويم الشعر بصفته تجاوزَ المعتاد والمشترك والموروث. إن المنظومة الإيقاعية عنصر لا يمكن فصله عن اللغة الشعرية والصورة الفنية في بعديهما التعبيري عن التجربة الشعرية في القصيدة المعاصرة، لأنه ذو إيحاءات تعمق المعنى وتخلقه. فهو لغة شعرية يحقق قسطا من الأدبية داخل نسيج القصيدة، فحداثة إيقاع القصيدة المعاصرة يمكن تحويله إلى تمثلات تصويرية عن علاقة الذات بمحيطها، وعلاقة الذات الشاعرة بنفسها، و«يعتبر الإيقاع من الخصائص الشعرية الأساسية الثابتة، لكن الشعراء المحدثين والمعاصرين منهم هم الذين أكثروا من تنويعاته استجابة لتلوين حالاتهم النفسية ولاختلاف مقصدياتهم، وهكذا فإننا نجد في القصيدة الواحدة قد تحتوي على إيقاعات متعددة» (علي آيت أوشان، ديداكتي النص الشعري من القراءة إلى الإقراء، السلسلة البيداخوجية، ص57) إن التجليات الإيقاعية البديلة للبحور والروي والقوافي الموحدة تفتح آفاقا أبعد للربط بين اللغة والمجتمع والمبدع والمتلقي، واستقراء تجارب الحياة والقيم. والتعامل مع البديل

الإيقاعي برؤية نقدية تأويلية يثير هذا الجانب القيمي والاجتماعي والرؤيوي في النص، كما يفصح عن الرسائل المقصدية ويغني المعاني والمضامين.

4- تأويلية التركيب.

لا يختلف اِثنان في كون التركيب نشاطا من أنشطة مقاربة النص الشعري في الكتاب المدرسي، وقد يعتقد البعض أن مهمته لا تتعدى تجميع المعطيات المدروسة على مستوى الملاحظة والفهم والتحليل، وتلخيصها وتركيبها في فقرة متماسكة، فالغالب في تصور التركيب أنه لَمُّ شتات النص المفكك في المراحل السابقة، ورغم ما لهذه العملية من أهمية، فالقيمة المعرفية والمنهجية لهذه العملية هي التركيب الذي ينتهي بإنتاج دلالات جديدة، فهو مناسَبةٌ تأويلية تمثل امتدادا اتساقيا بين مراحل قراءة القصيدة، ويتجلى البعد التأويلي في ركوب الحجاج والدلائل لتمحيص فرضية قراءة النص، وذلك بتأكيدها أو تعديلها أو دحضها وتنفيذها. وقارئ النص ينافح جاهدا من أجل إثبات رأيه اعتمادا على منظومة حجاجية تمكنه من خلاصة نهائية تعتبر نتيجة لما سبق دَرْسُه.

ثانيا: نموذج تطبيقي للتأويل المدرسي قصيدة "إذا تشاء المدينة" لمحمد السرغيني أنموذجا

نشأ شعر "تكسير البنية" نتيجة مجموعة من العوامل والأسباب، ورعته ظروفٌ ومتغيرات في مقدمتها التحولات الثقافية والاجتماعية التي عرفها الوطن العربي. وتمثلت في مقاومة المد الاستعماري، والهيمنة الإمبريالية، ونكبة فلسطين، واحتكاك الثقافة العربية بالثقافة الغربية على سبيل والانبهار والتخلي عن نمذجة المجتمع التقليدي، وقد امتد التجديد إلى مجموعة من المجالات منها الفن والإبداع. فقد زاحم السطر الشعري البيت التقليدي، وحل التنوع بدل وحدة الوزن والقافية والروي، بالإضافة إلى تجديد اللغة وشحن المعجم بمعاني جديدة تنهل من التجربة وليس من أغراض المدونة الشعرية التقليدية، وأصبحت الصورة الشعرية أكثر غموضا/عمقا لما ساد فيها من معالم الرمز والأسطورة. ومثل هذا الاتجاه الشعري

المعاصر جيلٌ من الرواد أمثال عبد الوهاب البياتي، ومن المغاربة محمد بنيس ومحمد الخمار الكنوني وعبد الرفيع الجواهري. ويعد الشاعر (محمد السرغيني) الذي اخترنا الاشتغال على قصيدته (إذا تشاء المدينة) من رواد الشعر العربي المعاصر بالمغرب بمنجز إبداعية مثل: ديوان (من فعل هذا بجماجمكم)، وديوان (الكائن السبئي)، وديوان (من أعلى قمم الاحتيال فاس).

وانطلاقا من العنوان (إذا تشاء المدينة) والملاحظة الخارجية للقصيدة نلاحظ انحراف النص عن الأغراض التقليدية إذ تناول موضوعا حداثيا (شعر المدينة)، كما نلحظ تميز الشكل الطوبوغرافي المعتمد على نظام الأسطر المتفاوتة الطول ونظام المقاطع بدل البيت الشعري، وهذا يدفعنا إلى أن نفترض اندراج القصيدة ضمن اتجاه تكسير البنية، فإلى أي حد مثلت قصيدة (إذا تشاء المدينة) لمحمد السرغين هذا الاتجاه.

جاء عنوان القصيدة جملة شرطية غير مكتملة الأركان: أداة الشرط (إذا)، وجملة الشرط (تشاء)، وجواب الشرط (محذوف)، وقد تمت صياغتها بتركيب انزياحي تم خلاله إسناد المشيئة إلى غير العاقل (المدينة)، وهو ما يومئ بسلطة المدينة على الفرد والجماعة، وقدرتها على الفعل والتغيير وقوة الأثر، هذه الفاعلية يمكن استجلاء بعض منها بتقسيم النص إلى وحداته الأساسية، فالقصيدة جاءت مقسمة إلى ثلاث مقاطع:

- ✓ **المقطع الأول:** صور فيه الشاعر الكدر والحزن الذي حل بأهل المدينة.
- ✓ **المقطع الثاني:** آثار ونتائج فتح المدينة أبوابها للغرباء الذين أفسدوها.
- ✓ **المقطع الثالث:** أمل الشاعر انجلاء الغلس وعودة الابتسامة.

والمقاطع في مجملها تصور معاناة الإنسان المعاصر، وتشخص جراحه وانكساراته، وتتطلع إلى

عودة الأمل رغم ما يخيم من قسوة.

وللتعبير عن هذه المضامين اعتمد الشاعر معجما توزعته ثلاثةُ حقول دلالية:

أ- **حقل الناس:** تظلهم- مخالبهم- أعينهم- الوجوه- الغريب.

ب- **حقل الزمان:** النهار- توقف الزمن- يضؤل الزمان...

ج- **حقل المكان:** مدينة- دروبها- ملتقى- سهوبها- البحر- المكان- ربوعها- مدينة النجوم...

يلاحظ من تصنيف المعجم ودراسته هيمنة حقل المكان/المدينة، والعلة في ذلك أن القصيدة تندرج ضمن "شعر المدينة"، ويسعى المبدع إلى تصوير حالات (الكدر- الخرس- العقم- الوجوم...) وغيرها من صفات المعاناة وغياب الرؤى التي تخيم على المكان/المدينة آملا أن ينجلي الخرس ويزهر البكور. فالمعجم الشعري استطاع إلى حد كبير تصوير المعاني الذهنية للمبدع لأنه مستوحى من التجربة والواقع المعيش، وتجاوز في اختياره الجاهز والمحفوظ من التراث.

إن التجديد الذي اعتمده محمد السرغيني في اختياره المعجم الشعري نفسه الذي سلكه في نسج الصورة الشعرية، والتي جاءت بعيدة عن البيان المادي الكلاسيكي وعدل إلى الانزياحات لما لها من قوة في إثارة ذهن المتلقي، ولما لها من عمق تصوير حجم الهول والمأساة، كقوله: (مدينة تهيم)، فقد أسند الهيام للمكان (المدينة) وفي ذلك نوع من أنسنة الجماد، وقد يكون المراد ذكر المكان وإرادة أهل المكان على سبيل المجاز المرسل، والعلاقة (مكانية)، ويمكن تقدير العلاقة بـ(المشابهة) إذا اعتبرنا الصورة "استعارة" ويكون التقدير (مدينة تهيم كما يهيم الإنسان) على سبيل الاستعارة المكنية.

كما اعتمد الشاعر الرمز مثلا (مزبلة) الذي أفرغها من دلالتها التي وضعت لها في أصل اللغة، وشحنها بدلالات خاصة تومئ إلى درجة العفن الذي وصل إليه المجتمع العربي فاقدا كل إحساس متخليا

عن كل مشاعر النبل، وحل محله الفساد المادي والمعنوي الذي أزكم الأنوف كما تزكم المزبلة محيطها.

إن الصورة الشعرية في قصيدة (إذا تشاء المدينة) تميزت بطابعها الإيحائي، وأكسبت القول الشعري رونقا وجمالية، كما أسعفت الشاعر في بناء المعاني والدلالات لتصوير الوجوم (مدينة تغوص في الوجوم) ورفع التطلع والآمال (إذا تشاء ينطلق الخرس)، فالصورة كانت مطية لتشخيص الصراع بين البأس والأمل، والشاعر لم يجد سبيلا لتقديم هذه الموضوعة/التيمة إلا من خلال اللغة الإيحائية.

وإذا طرقنا باب الإيقاع وجدنا الشاعر اعتمد نظام الأسطر الشعرية المتفاوتة الطول استجابة للدفة الشعرية، واختار بناء النظم على تفعيلة الرجز (مستفعلن = في ملتقى) وقد لحقها زحافات فتتحول إلى (متفعلن = سهوبها). وقد وجد في هذه التفعيلة يسر البناء الفني نظرا لعذوبة توظيفها وطواعيتها للتعبير عن مأساة المكان الذي يلفه ظلام المعاناة. أما الروي فجاء متنوعا (م – ب– ر– ن ...) ومقيدا مثله مثل القافية التي لم تلتزم الوحدة شأن الشعر المعاصر الذي كسر وحدة الوزن والقافية والروي، فعكس تنوعُ الإيقاع الخارجي الاضطرابَ النفسي والقلق الوجداني للإنسان المعاصر الذي عبر عنه حال لسان المبدع. أما الإيقاع الداخلي فتشكل من مجموعة من المقومات منها: التوازي (مدينة بلا رؤى = مدينة بلا هموم) وهو تواز تركيبي نحوي من مبتدأ نكرة صوغ له الابتداء الجملةُ الوصفية بعده، فالتوازي في تفعيلات محددة يجعلها موسيقة لكونها تفيض بإيقاع جرسي متميز له تأثير قوي على السامع حيث يزداد الجرس انسيابا ساريا غير مقطوع. (أحمد مفدي، الشعر العربي في الصحراء المغربية (جذوره التاريخية– ظواهره وقضاياه)، ج 2، ص 45) كما نجد التكرار (مدينة 7 مرات) وكذا تكرار المدود (ي و ا، مثل: الوجوم – العُقاب – الغريب...).

نخلص أن كلا من الإيقاع الخارجي والداخلي عكسا نفسية الشاعر وساهما في نقل تجربة الشاعر ورؤيته تجاه المدينة التي أصبحت قضية مؤرقة للوجدان. وعلى مستوى بنية الضمير والأساليب الموظفة

فقد تبين أن الشاعر وظف ضمير الغائب (تغوص – عمرهم – يورق ...) لأنه يحمل المسؤولية لجهات أخرى منها: المسؤول والحاكم والمثقف ... وهيمن على النص الأسلوب الخبري الابتدائي الخالي من المؤكدات (مدينة تغوص في الوجوم – ينطفئ الغلس...) للتعبير عن أهل المدينة من الجياع والمقهورين...

وخلاصة القول فإن الشاعر محمد السرغيني في قصيدة "إذا تشاء المدينة" المقتطفة من "العلم الثقافي" مثَّل خطاب تكسير البنية تمثيلا إبداعيا مشتغلا على تيمة "المدينة" متجاوزا الأغراض القديمة للشعر العربي، واعتمد على السطر الشعري المتفاوت الطول، وبنى على تفعيلة الرجز معتمدا زحافات لتحقيق الانسجام الداخلي، كما نهج أسلوبية تصويرية بعيدة عن البيان المادي القديم مبتكرا انزياحات قادرة على حمل الهموم التي تقبع ي الكيان الإنساني المثقل. وبناء على ما سبق ذكره، يمكننا الجزم بالفرضية التي انطلقنا منها وهي انتماء القصيدة إلى الشعر العربي المعاصر الذي كسر البنية التقليدية للقصيدة وابتكر شكلا ومضمونا حديثين.

خلاصة

بعد طرح الشقين النظري والتطبيقي يتبين لنا أن تأويل القصيدة الشعرية الحديثة المدرجة في الكتاب المدرسي تستدعي منهجية خاصة في القراءة والتأويل، وتتطلب التعامل مع مداخل الاشتغال من أجل الظفر بمكنونها، إن القراءة التأويلية للنص الشعري تتطلب فهم النص وتحليله باستثمار المشيرات الداخلية والخارجية بمنهجية تجمع بين شروط المقاربة وشروط التدريس. كما أن التأويل الصفي للشعر الحديث يحتاج نوعها من التدرج (ملاحظة – فهم تحليل – تركيب) وتغليب الجانب التقني ومنهجة المعرفة وتحويلها إلى مهارة تأويلية، ويحتم تنويعا وتكاملا في المقاربات والأدوات. إن استثمار النشاط الصفي لسنة الباكلوريا آداب وعلوم إنسانية – خاصة في مادة اللغة العربية – من شأنه تمهير الطالب

بأساسيات منهج التحليل بإجراءاته التأويلية القائمة على أسس لغوية وفية وسيميائية، وجعله فاعلا منتجا للمعاني وليس مجرد مستهلك للجاهز من المعارف والأفكار في التعامل مع الإبداع الأدبي الذي يعد الشعر من فروعه.

المراجع والمصادر

1. إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة1، 1982.
2. أحمد مفدي، الشعر العربي في الصحراء المغربية (جذوره التاريخية–ظواهره وقضاياه)، ج 2، مطبعة وراقة بلال، فاس–المغرب، الطبعة الثانية، 2019م.
3. أندريه ديبشن، استيعاب النصوص وتأليفها، ترجمة هيثم لمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة1، 1991.
4. الحبشي العسري وآخرون (مؤلف جماعي)، الأساسي في اللغة العربية، مكتبة المعارف، الرباط.
5. الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث في المغرب، أحمد الطريس أعراب، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع. الدار البيضاء، 1987.
6. الكتابة العامة لمديرية المناهج، التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر، المملكة المغربية، 2007م.
7. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيات التناص)، المركز الثقافي العربي، الطبعة 1، لبنان، 1985م.
8. وزارة التربية الوطنية، مشروع أولي لمناهج اللغة العربية بالسلك الثاني من التعليم الأساسي، (مرقون)، شتنبر 1995.
9. علي آيت أوشان، ديداكتي النص الشعري من القراءة إلى الإقراء، السلسلة البيداخوجية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب.